شخّص هموم مواطني صنعاء القديمة وكيفية الحفاظ على تاريخ المدينة (١)

الدكتور محمد عبدالعزيز يسر: ضعف الوعي - التشوهات العمرانية - الحركة التجارية.. أهم مشكلات صنعاء القديمة

تعد صنعاء القديمة أحد أهم النماذج العالمية لمدن التراث المسجلة في قائمة التراث العالمي، ولعدة مقومات حطت أنظار العالم والمهتمين بالتراث، بل والسياح والزائرين لليمن، باعتبار أن صنعاء القديمة تراث إنساني عظيم يدل على عظمة هذا الشعب اليمني العريق بحضارته وتراثه، والذي خطت أنامل هذا الإنسان هذا التفرد في البناء والعبقرية في التصميم الهندسي والامتياز في فنون الزخرفة وهيئة البيت في صنعاء القديمة من الداخل والخارج، بل إن صنعاء القديمة جعلت عاصمة اليمن الموحد منذ أقدم الحضارات، ولا شك أن صنعاء القديمة اليوم تعاني من بعض التشوهات والاستحداثات في المباني وحركة التجارة، بل وتداخل صلاحيات الجهات الحكومية، فضلاً عن تأثر عدد من المباني المهددة بالانهدام نتيجة المياه والمجاري وعدم الترميم من قبل الجهات المختصة.

وعلى الرغم من مناداتنا للجهات في وزارة الثقافة وهيئة المدن التاريخية والمجالس المحلية، وكذلك رغم عقد العديد من الندوات وورش العمل، كان آخرها الندوة الخاصة بإيجاد حملة ثانية لإنقاذ مدينة صنعاء القديمة كواجب وطني ودولي باعتبارها تراثاً إنسانياً، إلا أن كل ذلك لم يشفع لصنعاء التاريخ من عبور الإحساس الوطني للمسؤولين.

وهنا يسلط الدكتور محمد عبدالعزيز سعد يسر، أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب، جامعة صنعاء، ورقته العلمية بعنوان «هموم المواطنين في صنعاء القديمة وتحديد المساعدات المطلوبة للحفاظ على المدينة»، وذلك بشكل حلقات متتابعة:

الثورة السياحي/متابعات

لقد ازداد اهتمام العالم خلال الخمسة العقود الماضية بالحفاظ على المدن التاريخية حيث أصبحت تمثل إرثاً حضارياً للشعوب في كثير من بلدان العالم .

ومدينة صنعاء التاريخية (القديمة) تمثل أحد النماذج العالمية لهذه المدن الأثرية التي جذبت إليها الأنظار في الداخل والخارج لما تتمتع به من معالم حضارية ومن جمال البناء ، بل وتوفر عناصر المدينة اليمنية والعربية والإسلامية بكل أبعادها الإنسانية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .كل تلك الوظائف جعلها بحق مدينة متكاملة العناصر التي أهلتها منذ قديم الزمن أن تكون عاصمة لعدة حضارات يمنية ومعاصرة وأكثر من ذلك أنها لا زالت قائمة وشامخة شموخ مآذنها ومنازلها العامرة بسكانها الذين حافظوا عليها جيلاً بعد جيل . وخلال عمرها المديد الذي يزيد عن ألفي عام فقد ظلت منازلها وأسواقها وحماماتها ومساجدها وساتينها تزاول وظائفها بشكل متكامل من حيث الأداء والاستخدام الذي يبرز العقلية اليمنية الفذة في استخدام الأرض والمواد المحلية التي تتناسب مع البيئة الطبيعية .

ولموقعها الجغرافي في وسط الهضبة اليمنية ، فقد جعلت عاصمة اليمن الموحد منذ أقدم الحضارات في الجزيرة العربية وبجانب ذلك الموقع الوسيط فقد حباها الله بالمناخ المعتدل والتربة الخصبة والمياه العذبة مما أكسبها عناصر البقاء والاستقرار والجذب السكاني من كل أنحاء اليمن ، وأصبح سكانها يمثلون كل مناطق اليمن الكبير.

مدينة صنعاء التاريخية وهي تعيش الآن سمعة عالمية لم تتنكر لأحد حافظ عليها واهتم بمعالمها وآثارها . ومن بين هؤلاء منظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربة والعلوم (اليونسكو) حيث سجلت صنعاء التاريخية عام ١٩٨٤م كتراث حضاري إنساني ينبغي الحفاظ عليه وحماية نسيجه العمراني ، وعدها الخبراء والضيوف تراثاً اسمانياً يهم العالم وجزءاً من شواهد التاريخ الحي للبشرية ، وعند ذلك تنتهي مهمتهم لتبدأ مهمتنا نحن لمواصلة الحفاظ عليها . وكان ممن أظهر هذا الاهتمام فخامة الأخ / علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية من خلال إنجاز العديد من المشاريع الخدمية والسياحية ترميم المنازل والمقاشم وتبليط الشوارع بالطرق التي تتناسب مع البيئة التاريخية التي تتمتع بها المدينة ، كما إن جهات حكومية أخرى قد جعلت من بين اهتماماتها هو المحافظة على صنعاء التاريخية ومنها (الهيئة العامة للسياحة سابقاً، الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية ، أمانة العاصمة ثم المجلس المحلي) ولم يبخل المؤرخون والكتاب اليمنيون والعرب والأجانب من الإشادة بهذه المدينة العريقة ومحاولة الكتابة عن تاريخها وفنها المعماري ، إلا أن هناك أيضاً متسعاً للمتخصصين والمهتمين للكتابة عن مدينة صنعاء التاريخية ، وهذا ما دفعني أن أقدم هذه الورقة ، بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على الحملة الدولية للحفاظ على صنعاء وتتضمن هذه الورقة على الموضوعات الآتية:

- المقدمة .
- صنعاء القديمة (المساحة والسكان والموقع)
- أهداف الورقة .
- الهموم والمشكلات الناتجة عن السكان ومنها :

١- ضعف الوعي البيئي .
٢- مشكلات المساكن العشوائية .

أولاً : هموم ومشكلات المواطنين وعلاقتها بالجهات الرسمية ومنها :

١- النقص الحاد في مياه الشرب .
٢- هموم التعليم .
٣- ضعف الرعاية الصحية .

- ثانياً تحديد المساعدات المطلوبة لسكان المدينة من أجل الحفاظ عليها:

١- تنمية قدرات المجتمع .
٢- تطوير العمل المؤسسي واستخدام التخطيط الحضري .
٣- إنشاء قاعدة بيانات ومعلومات .
٤- التدريب الإداري والمالي والفني والثقافي .
٥- تحسين ظروف المجتمع اقتصادياً .
٦- تحسين حركة المرور.

● الخاتمة .

- الملاحق :١-٢-٣

صنعاء القديمة : (المساحة والسكان والموقع) :

● تقع مدينة صنعاء القديمة أو (التاريخية) ضمن التقسيم الإداري لأمانة العاصمة صنعاء ، البالغ مساحتها (٣٩٠) كم ٢ وتتكون من عشر مديريات هي :

- صنعاء القديمة .
- آزال .
- الصافية
- السبعين
- الوحدة
- التحرير
- معين
- الثورة
- شعوب
- بني الحارث .

كما تعد مديرية صنعاء القديمة أصغر المديريات من حيث المساحة حيث تصل مساحتها حوالي (١,٨) كم٢(تقدير شخصي) ، أما الموقع الجغرافي للمدينة ، فقد تحددت حسب القرار الجمهوري رقم (٣) لسنة ٢٠٠١م بشأن التقسيم الإداري لأمانة العاصمة ، وكان على النحو التالي :

- شمالاً / ابتداء من جولة القيادة مروراً بشارع المشهد .
- شرقاً / شارع مسيك من تقاطع شارع المشهد حتى جولة باب السلام .
- غرباً / شارع علي عبد المغني ابتداءً من جسر الصداقة حتى جولة القيادة .
- جنوباً / شارع باب السلام مروراً بشارع الزبيري حتى جسر الصداقة (١×١)

- عدد الحارات : وتتكون صنعاء القديمة من (٦٥) حارة تشكل في مجملها النسيج العام للمديرية (أنظر الخارطة رقم (١).

السكان : بلغ عدد السكان حسب إحصاء ٢٠٠٤م حوالي (٨٢١٠٠) شخص .
عدد الأسر : ٩٧٦٧ أسرة .
عدد المساكن : ٩٧٢٥ مسكناً .

- أهداف الورقة :

تهدف هذه الورقة إلى تحديد هموم المواطنين في صنعاء القديمة كأحد أهداف هذه الندوة ، وهي بمثابة الجزء الأول من الورقة ، ثم تحديد المساعدات المطلوبة للحفاظ على المدينة .

تعتبر مسألة الإطلاع على مشاكل المواطنين وهمومهم في اليمن حديثة العهد وفي بداية الطريق إذا ما قورنت ببعض دول العالم المتحضر ، والتي أصبحت تملك تجارب كبيرة من النظريات العامة والتطبيقات العملية في تحليل وتفسير المشكلات المدنية والحضرية على وجه الخصوص .

وعلى ضوء الإطلاع على بعض الأرقام الإحصائية وبعض المشاهدات والمعايشة اليومية ، خلال الخمسة عقود الماضية تم حصر أهم المشكلات التي عرفتها هذه الورقة (بالهموم) اليومية والتي أصبح بعضها لا يحتمل الانتظار عند كثير من ساكني مدينة (صنعاء القديمة)

إن هذه الورقة ستحدد أهم المشكلات ومن خلال ذلك تهدف إلى المشاركة في انتخاب أهم المشكلات لتحديد أولوياتها ، وبعد ذلك تحديد أولويات السياسات والأهداف كإسهام فعلي يعمل على الارتقاء ببرنامج التنمية الحضرية بالمديرية (الذي ستحدده هذه الندوة) ويساعد في تركيز الاهتمامات لإنقاذ المدينة ومحاولة حل المشكلات العالقة والتي أصبحت مشكلات تؤرق الحياة في هذه المدينة وتؤرق مواطنيها وخاصة بعد عملية الهجرة الجديدة للمدينة وزيادة الأنشطة التجارية كأحد الأسباب الرئيسية في زيادة هموم السكان لذلك فهذه الورقة مع غيرها من الأوراق ستركز على ذكر أهم الهموم لدى المجتمع في هذه المدينة وهي كالآتي :

أولاً : هموم ومشكلات ناتجة من بعض ساكني المدينة:

أ- ضعف الوعي البيئي والحضري :

١- تدني وتدهور مستوى الاهتمام الشعبي ، وهذا واضح من خلال انتشار البناء العشوائي في كثير من المناطق .

٢- تدني مستوى الوعي الشعبي بأهمية النظافة العامة والالتزام بتعليمات الجهات المعنية ، ومن مظاهر هذا التخلفات البيئية الصور التالية :

٣- اللامبالاة من قبل بعض السكان في إلقاء مخلفاتهم الشخصية التي يحملونها أو يلقونها من سيارتهم من علب وقوارير ومخلفات القات والمشمعات وغيرها .

٤- اللامبالاة من بعض أصحاب المساكن في ترك مخلفات البناء بجوار منازلهم مما يسبب تلوث الشوارع والحارات .

٥- اللامبالاة من أصحاب كثير من الدكاكين في إلقاء مخلفات تجارتهم من بلاستيك وقراطيس وكراتين .

٦- اللامبالاة من بعض أصحاب المنازل من ترك السيارات المتهالكة وكذلك المخلفات المعدنية على باب منازلهم وتكون سبباً إضافياً للتشويه وعرقلة سير المشاة والسيارات ، علماً أن المؤشرات الإحصائية تفيد بأن منطقة صنعاء القديمة ومنطقة التحرير ومنطقة الصافية تمثل أعلى كمية من القمامة ، وبالتالي فإن الحاجة إلى الاهتمام بالنظافة أكثر من غيرها من المناطق .

٧- إخراج معظم سكان المنازل مخلفاتهم المنزلية في أوقات متباعدة من الأوقات المحددة لجمعها من قبل العمال وسيارات نقل القمامة ، مما يجعل أكياس وأواني القمامة عرضة لعبث البعض وكذلك عرضة للحيوانات كالقطط والكلاب .

× تزاحم المشاة والمتسوقين مع البضائع المعروضة على الأرصفة والشوارع والساحات ، مما يجعل هذه الأسبلة حكراً لهؤلاء التجار أو الباعة .

× لا يبالي الكثير من التجار بعرض بضائعهم النسائية الداخلية أمام المارة والمتسوقين مما يخدش الحياء واللياقة والآداب العامة .

× يتجرأ بعض هؤلاء أصحاب الدكاكين والباعة من التبول وراء الأبواب أو في الزوايا والشوارع المظلمة مما يبعث روائح كريهة ومناظر سيئة غير لائقة بهذه المدينة التاريخية وبأهلها الصابرين .

× تجرؤ البعض من إلقاء مخلفات القوارير الملوءة بالبول والقائها في قارعة الطريق والأرصفة .

× التسكين في الدكاكين وهو نمط غير حضاري وخارج عن المعايير الصحية والبيئية ومخالف لحقوق الإنسان الذي يضمن له أدنى مستوى معيشي .

جـ - مشكلات المساكن العشوائية :

تفاقمت مشكلات وهموم البناء العشوائي غير المرخص في مدينة صنعاء القديمة ، وأصبحت من الهموم التي تؤرق الساكنين والجهات الحكومية الرسمية ، قيام بعض الأسر والأفراد بتشييد مساكنهم بوجه غير قانوني على أراض تملكها الدولة أو تملكها ملكية خاصة في غالبيتها أرجاء المدن اليمنية . ومن هذه المدن ، هي مدينة صنعاء القديمة التي تحوي عدداً كبيراً من المساكن العشوائية التي أقيمت بهذه الطريقة ،ولم تجد لها ترخيصاً .

ولقد غدت هذه المشكلة مصدر قلق واهتمام لدى السلطات المحلية والوطنية والدولية على السواء بان زيادة نشوء المساكن غير المرخصة جاء بفعل عدد من العوامل المترابطة ومنها :

١- الزيادة الطبيعة في عدد سكان الحضر (أي زيادة عدد المواليد).

٢- تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين من الريف إلى المدينة إما بحثاً عن فرص العمل أو الانضمام إلى أفراد عائلاتهم الذين سبق أن استوطنوا المدينة (وهذا ينطبق على كل المهاجرين في أمانة العاصمة).

٣- تطلبت هذه الزيادات (الطبيعية والهجرة) بناء مساكن جديدة أو إضافة عدد الأدوار فوق المنازل القديمة أو إملاء الأحواش والفراغات التي أصبحت فعلاً تضم مساكن جديدة .

٤- فتح محلات تجارية في كثير من أحياء صنعاء القديمة وأن السبب الأصلي في فتح هذه الدكاكين هو الحافز المادي الذي تفرضه هذه الظروف الاقتصادية في الازدهار التجاري ، وبالتالي أصبح دخل كثير من الأسر يأتي من الإيجارات المرتفعة لهذه الدكاكين المستحدثة تحت المساكن القديمة.

ثانياً : هموم ومشكلات المواطنين وعلاقتها بالجهات الرسمية :

هذه الورقة تستعرض كذلك نوع الهموم التي ارتبطت بشكل مباشر أو غير مباشر بالجهات الحكومية والرسمية التي تأخرت أو تغاضت في وضع الحلول المناسبة للتحقيق في المشاكل المتزايدة في المدينة التاريخية ، وقد جاء ترتيب هذه المشكلات وفق أولوياتها على النحو الآتي :

أ- النقص الحاد في مياه الشرب :

نالت قضية تزويد السكان بالمياه النظيفة وإقامة مشاريع الصرف الصحي اهتماماً كبيراً من قبل الجهات الرسمية والمنظمات الدولية ونظراً للزيادة السكانية والاستعمالات المنزلية والحرفية ولكن في الندوة الأخيرة ، فقد تفاقمت مشكلة نقص وشح مياه الشرب إلى درجة أن أصبحت هماً عاماً للسكان ، وتكمن مشكلة نقص المياه في النقاط التالية :

١- انقطاع شبه عام أو متكرر طوال أيام العام مما جعل السكان يتبعون حلولاً بديلة مكلفة مالياً لكثير من الأسر وهي توريد المياه عبر الناقلات (الوايتات) أو بواسطة الأطفال من بعض حنفيات المساجد .

٢- تصبح قضية نقل المياه بواسطة (الوايتات) تشكل مشكلة وهماً لدى السكان لامتناع معظم السائقين من الدخول في الشوارع الضيقة والمكتظة بالمارة وبالسيارات وبالتالي تصبح المنازل في معظم شوارع المدينة القديمة بعيدة المنال حتى في شراء المياه المنقولة.

٣- تشكو بعض الحارات من فقدان المياه بسبب التسرب من بعض أجزاء الشبكة المتهالكة والتسرب قد يتصل إلى ٣٠-٤٠٪ من كمية المياه حسب رأي بعض المصادر الرسمية وفي السنوات الأخيرة رأينا تجاوباً طيباً من المجلس المحلي في إعادة وإصلاح الشبكة .

٤- تشكو كثير من مساجد المدينة القديمة من نقص أو عدم توصيلها بالمياه من الشبكة مما تضطر إلى الإغلاق أمام مئات المصلين ، وفي هذه المناسبة نذكر أن هذه المساجد كانت منذ سنوات مضت تزود من آبارها الخاصة

ب- هموم التعليم في المدينة القديمة :

نالت رعاية التعليم أكبر اهتماماً لدى الجهات الرسمية ، انطلاقاً من مكافحة الأمية والجهل بين المواطنين . وكان اهتمام الدولة منذ البداية واضحاً في ميزانية سنوية تخصص للتعليم بأشكاله المتعددة ، إلا أن المدينة القديمة لم تأخذ حقها من العملية التعليمية بالشكل المطلوب ومن خلال طرح بعض الأسئلة على بعض التلاميذ والطلاب في المرحلتين الأساسية والثانوية ، فكانت إجابتهم على النحو الآتي :

١- الازدحام الشديد في بعض الصفوف الأساسية بحيث يصل عدد التلاميذ إلى ٦٠-١٠٠ تلميذ في الفصل الواحد ومن خلال المؤشرات الرسمية ((فإن معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد ٥٨ طالب، ومعدّل مدرس لكل ٣٣ طالباً ...، أما عدد الطلاب في المرحلة الثانوية فيصل إلى ٦٨ طالباً وبمعدل مدرس لكل ٤٠ طالباً)) ، وبالمقارنة مع المدارس الخاصة ، فإن الصورة تتضح ما مدى مستوى المشكلة القائمة في المدينة القديمة ، حيث أن ((معدل طلاب المرحلة الأساسية في الفصل الواحد هو ٢١ طالباً ومعدل طلاب المرحلة الثانوية في الفصل الواحد ١٨ طالباً))(٢).

إذاً فإحدى مشكلة المدارس الموجودة في جميع مدارس الأمانة ومنها صنعاء القديمة ، هو الازدحام المتعاظم سنوياً مع بقاء عدد المدارس كما هو منذ ثلاثة عقود مضت..

ويفترض أن تكون القدرة الاستيعابية للفصل الواحد بمعدل ٤٠ طالباً "٣" ، وهذا يعطي مؤشراً لعدد المدارس التي يجب توفيرها في المدينة القديمة ، حيث أن المطلوب بصورة عاجلة هو ثلاث مدارس كتقدير شخصي كسد العجز في السنوات القادمة .

٢- سوء استخدام المرافق الصحية : بجانب ازدحام الفصول الدراسية ونقص عدد المدرسين ، يضاعف ذلك هو شكوى التلاميذ والطلاب في المرحلتين الثانوية والأساسية من انعدام أو سوء استخدام المرافق الصحية كالحمامات وتوفير المياه الدائمة فيها ، وهذه المشكلة لم تكن أصلاً من سوء تعامل الطلاب وإهمالهم في المحافظة عليها إلا أن إدارات المدارس كذلك لا تعير هذه الخدمات الأساسية أي اهتمام ربما بسبب عدم وجود ميزانية لهذه الخدمات؟!

٣- تباطؤ الجهات المسئولة من صيانة المدارس كالمجلس المحلي ووزارة التربية والتعليم (مكتب الأمانة) وغيرها من الجهات ذات العلاقة وتأتي قضية الترميم والصيانة كإحدى المشكلات والهموم في العملية التعليمية باعتبار أن المباني المدرسية تواجه استخداماً يومياً جائراً من قبل الطلاب ، وبالتالي سرعة إهلاكها في جميع مرافقها كالفصول الدراسية والحمامات والساحات الرياضية (إن وجدت) .

٤- عدم تفعيل وفي أحسن الأحوال) ضعف التواصل مع (مجلس الآباء) ، حيث تمثل قضية التواصل بين إدارة المدرسة وأرباب الأسر قضية مستمرة ، وربما يفسر ذلك الانقطاع بالأسباب التالية :

١- التخوف من احتمال قيام المدرسة بجمع التبرعات المالية .
٢- كثرة مشاغل وإهمال الآباء .
٣- عدم الاستفادة من حضور الاجتماعات السابقة .
٤- ضعف الوعي لدى الآباء بأهمية التواصل مع المدرسة .
٥- ثم إن عدم التواصل مع إدارة المدرسة بالآباء يعود إلى عدم وجود متابعة دورية من قبل الجانبين.

● وللحديث بقية في الخميس القادم